الفصل الأول

مقومات النظام الأسري

- مقدمة.
- الأسرة كنظام.
- منهج النظم.
- خصائص النظم.
- خصائص النظام الأسري.
- التوافق فى النظام الأسري.
- أولا : التوافق الزواجى.
- ثانيا : توافق النظام الأسري المنبثق.

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

الأسرة هي أقدم المؤسسات البشرية وأكثرها ثباتا . فقد شهدت قيام وسقوط المدنيات ، والإمبراطوريات ، والحروب ، والمجاعات ، وأمراض الطاعون ، والانكماش ، وفترات الانحسار ، وتشير الأسرة بالمعنى الضيق إلى وحدة قرابة أساسية وهى في أصغر وحداتها وهو الشكل النووي nuclear تتألف من الأم والأب والأبناء وقد تشير بمعنى أوسع إلى الأسرة الممتدة extended والتى تشتمل على الأجداد وأبناء العم أو الخال والأبناء – أي أنها تشمل كل خلف أو نسل جد أعظم مشترك بزوجاتهم وأزواجهم ، جميعهم يسلكون كوحدة اجتماعية معترف بها .

ويشير نمط الأسرة family pattern إلى نوعية من العلاقات بين الوالدين والأطفال تميز أسرة معينة . وأنماط الأسرة تتفاوت تفاوتا كبيرا في الأسلوب الانفعالي وفى اتجاهات الأعضاء بعضهم نحو البعض الآخر: فبعض الأسر تتسم بالدفء الانفعالي والبعض الآخر يتسم بالبرود . ونجد أعضاء بعض الأسر متباعدين وأعضاء أسر أخرى ذوى علاقة حميمة تكافلية ، وبعض الأسر منفتحة للأقارب والأصدقاء ، بينما نجد أسرا أخرى منغلقة ، وفى بعض الأسر نجد طفلا أو أكثر محبوبين ويجدون تقبلا ، وفى أسر أخرى نجد طفلا أو أكثر معرضين للنبذ . (جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافى : ١٩٩٠) .

الأسرة كنظام

سنقوم في هذا الفصل بإلقاء الضوء على الأسرة كنظام The Family as a system والمحيط الاجتماعي الذى تقوم الأسرة بدورها وتكمن فيه أهداف هذا الدور ، كيف تتشكل الأسرة ، وما الذى تتطلبه ، وماذا يحدث عندما يأتي فرد جديد للأسرة (وهو الطفل). وماذا نعنى بكلمة نظام ، وكيفية تطبيق منهج النظم عل الأسرة والعوامل والعمليات التى تكون الأسرة وتؤثر فيها .

والنظام الأسرى: نظام اجتماعي أساسي هام لبقاء المجتمع ، ويشكل نسقا من

الأدوار الاجتماعية المتصلة والمعايير المنظمة للعلاقات بين الزوجين مع تنشئة الأطفال وبناء العلاقات القرابية .. وتعتبر الأسرة شكل مصغر للمجتمع حيث أنها تقوم بتوسيع معاييرها وقيمها وتوقعاتها للأفراد الذين يعيشون فيها ، وتقوم بتوسيع وتعديل القواعد والإجراءات لتنظيم سلوك أفرادها وفقا لتلك المعايير للإبقاء على النظام ذاته .

وفى بعض الأحيان يجد الزوجين الذين لديهما أطفالا أن أصدقائهم الذين لا أطفال لهم ينقصهم التفاهم العاطفي عن حاجات وطبيعة الأطفال والوالدية. وقد يؤدى ذلك إلى تغيير في أنماط الصداقة ، وينهى أسلوب حياة كان مستقلا نسبيا وخاليا من الهموم . وقد تتغير حاجات السكن تغيرا جوهريا . فالشقة الصغيرة الكافية تصبح غير كافية . والسيارة الرياضية ذات المقعدين لم تعد عملية نظرا لأن المكان المطلوب للطفل يمكن أن يفرض وسيلة انتقال أكبر وأكثر عملية.

منهج النظم :

إن الأنماط المتناسقة المستمرة التى تمثل أسلوب الأسرة تجعلنا نلقى الضوء على الأسرة كنظام . ونعنى بكلمة نظام System « ترتيب مجموعة من الأشياء المرتبطة أو المتصلة ببعضها لتشكيل وحدة أو كل منظم بالدرجة التى تجعله يحافظ على تكامله ودوامه ». أو أنه مجوعة من العلاقات المتبادلة المترتبة والدائبة بين أجزاء كل واحد ، كما أنها كافة العناصر التى تعمل معا لتؤدى وظيفة بعينها . ومن وجهة نظرنا فإن أفراد الأسرة يرتبطون ببعضهم البعض لتشكيل وحدة هيكلية ككل أكبر من مجموع أجزئه .

ويعد منهج النظم طريقة لدراسة أنماط العلاقات والتفاعل بين المكونات لفهم أفضل لوظائف الوحدة ككل.. وفى الهندسة البشرية يقصد به: اكتشاف مصادر الخطأ أو التباين في نسق ما ، وقياس هذه الأخطاء ، وتدبير عناصر تحسين أداء النسق أو النظام .. وتمثل بحوث النظم: استقصاء يوجه نحو استكشاف المبادئ العامة التى تنطبق على تصميم وتطوير النظم الجديدة – بما في ذلك تلك التى

يكون الأفراد جزءا منها – ومن ثم تشمل طبائع الناس في علاقاتهم ببعضهم وبالأدوات المستخدمة. (كمال دسوقي : ١٩٩٠) .

إننا لا نريد من خلال استخدام هذا المنهج فقط ملاحظة سمات و أداءات كل مكون فيما يتعلق بمكونات النظام الأخرى. ومن ثم : فإن أشد اهتمامنا بالتفاعلات والعلاقات الموجودة في الوحدة ، وبالتالي فإن وظيفتها ككل يتم فهمها بشكل أفضل – ولذلك: فإن تطبيق هذا المنهج على الأسرة يعنى أننا لا نريد ملاحظة سمات وسلوك كل فرد من أفراد الأسرة ، ولكننا أيضا نريد تركيز الانتباه على كيفية تواصل وتفاعل أفراد الأسرة مع بعضهم البعض كأسرة واحدة أو وحدة واحدة .

خصائص النظم :

إن أي وحدة وظيفية من الكون إلى الذرة يمكن دراستها على أنها نظام. وهناك خصائص شائعة لكل وحدة تؤدى إلى تنمية وتطوير منهج النظم. ومن هذه الخصائص ما يلي:

١- جميع النظم هادفة :

إن الوظائف المرتبطة بأي نظام تبدو مرتبطة بتحقيق أهداف محددة. وأغلب الأهداف اللحظية أو الآنية المباشرة للنظام تكون واضحة في الغالب ، وإن كانت أفضل أهداف النظام من المكن أن تكون غامضة أو مبهمة . سواء كان النظام كبير أو صغيرا فإن الهدفية تظهر في وظيفة النظام كوحدة.. وبالتالي: فإن توجيه الهدف يعد سمة مشتركة بين جميع النظم.

٢- جميع النظم لها تركيب :

تركيب النظام هو مشكلة العلاقات المتداخلة بين المكونات ودور كل مكون منها فتركيب الذرة يعرف من خلال التفاعلات التى تتم بين الاليكترونيات والبروتونات والنيترونات التى تتفاعل في وقت ومجال محدد. وبالمثل: فإن تركيب

الأسرة يعرف من خلال الأدوار والعلاقات المتداخلة بين أفراد الأسرة المتفاعلين مع بعضهم البعض.

٣- جميع النظم لها قواعد:

فأي نظام لابد له من قواعد تمثل دليل عمل يهدى الأفعال والسلوكيات.. والقاعدة إذا ما استقرت تتحول إلى قانون . وفى النظم الاجتماعية هناك قواعد إرشادية تحكم سلوك الأفراد وتصرفاتهم. فالقاعدة التى تقول: " لا ينبغي عليك أن تسرق " تعد قاعدة إرشادية ، ومثل ذلك القاعدة أن جميع الأطفال في العمر ما بين ٦-١٦ سنة لابد أن يلتحقوا بمؤسسة تعليمية والتزام أفراد وتلاميذ المدارس بتحية العلم احترامه ورفع شأنه هو رمز للوطنية ، وقيام رؤساء الدول بوضع حجر الأساس أو باقة من الورود على قبر الجندي المجهول أو استعراض قوات الجيش في المناسبات ....إلخ .

ويتم تصميم القواعد الإرشادية لتوجيه مكونات النظام نحو نتيجة مرغوبة.

وإذا كان الملاحظ يرى أن القواعد الإرشادية تراكيب مجردة فإن هذه القواعد تحكم مكونات النظام. والقواعد التى تحكم المجتمع يتم صياغتها على شكل قوانين وتنظيمات لإنتاج شكل محدد من الترتيب الاجتماعي.

فالنظم تظهر كنتاج غير مخطط له فدى حياتنا الاجتماعية ، ويترسخ النظام مع إقامة قواعد ومعايير محددة تميز أوضاع المراكز ، وتحدد وظائف الأدوار فيما يتعلق بالسلوك المتماثل . والقواعد الاجتماعية تمثل توقعات الجماعة للسلوك ، والتنظيم إذن هو إبدال وقتي أو تجريبي بالسلوك المتوقع المنظم ، والنمط ، الممكن التنبؤ به . مثال ذلك: رسميات احتفال الزواج أمام المأذون أو فى الكنيسة وإجراءات الخطبة أو عقد الزواج... فالنمط السلوكي يصبح من الثبات والرسوخ بحيث يتعلمها أعضاء المنظمات في مزاولاتهم ويتجسدونها في شخصياتهم. ويرى رسكين Riskin أن الأسرة من الممكن أن تجهل بشكل كلى جميع قواعدها برغم وضوح تلك القواعد أمام القائم بعملية الملاحظة . (Ford & Herric,1970) .

٤- جميع النظم لها ترتيب أو طريقة محددة للعملية :

إن هذه السمة هي المنظمة للنشاط الذى نشتق منه القاعد التى تحكم المجتمع . أنها تشتمل على تناسق واستمرار الأنماط التى تساهم في التعرف على النظام لتمييزه عن النظم الأخرى . فعلى سبيل المثال: نلاحظ حركة الأرض وعلاقتها بالشمس الأمر الذى يؤدى إلى حدوث فصول السنة الأربعة . نرى أن النظام في الأسرة يتم عندما نلاحظ كيفية تعامل الأسرة بشكل منسق مع الأحداث الداخلية والخارجية.

٥- جميع النظم تهدف إلى البقاء والاستمرار:

يتم تنظيم مكونات النظام من خلال علاقات ذات نمط تفاعلي متشابك وعندما يتكون هذا النمط تظهر مجموعة متوازنة من القوى بين مكونات النظام الأمر الذى يسمح لهذا النظام القيام بدوره.. وعندما يتحقق التوازن يتم تكريس كل جزء من قوى النظام لاستمرار هذا التوازن. وبمرور الوقت – وكلما استمر النظام في القيام بدوره – فإن نمط القوى المتوازن والتنظيم يصبح أكثر قوة ، ويصبح النظام أكثر قدرة على مقاومة القوى والعوامل التى تعوق توازن القوى ، وبالتالي تغيير النظام.

ولقد قدمت نظرية النظم العامة مفهوما معقدا يعرف " بالانتقال " entropy لوصف هذه الظاهرة .. ويشير هذا المفهوم إلى القوى المتاحة وحالة تنظيم النظام. فعندما يكون النظام أكثر انتقالا فإنه يبتعد عن مصادر القوى ويصبح غير منظم وغير متكامل ، وإذا كان النظام أقل انتقالا فان الوحدة التنظيمية والوظيفية تكون غير ممكنة بسبب تشتت القوى . انه من الضروري أن يتم تحقيق توازن النظام. ويعرف هذا التوازن – من ناحية البيولوجية – باستعادة التوازن. ويشير مصطلح استعادة الاتزان إلى العملية الدينامية في النظم التى تبقى على التوازن وتتوافق مع تغيير سمات المكون والتفاعلات وبطريقة أو بأخرى نرى أن أشكال التنظيم

وسمات مكون النظام من المكن أن تغيره دون أن تدمره . ويعتبر نظام الأسرة المنفتحة أو الممتدة مثال على استعادة التوازن . (Zander,1990)

خصائص النظام الأسرى:

من خلال نظرية النظم يمكننا إدراك الكون على أنه مجموعة من النظم المتشابكة: كل نظام يشمل نظم فرعية ، ويعد أيضا جزء من نظم أكبر . إننا من الممكن أن نفهم الأسرة باعتبارها نظاما اجتماعيا تقع ضمن نظام أكبر هو المجتمع.

إننا في منهج النظم ننظر إلى جميع النظم على أنها متداخلة ومتشابكة.. وهكذا: فإن من المناسب أن نقوم – باختصار – بإلقاء الضوء على خصائص الأسرة كجزء من نظام اجتماعي أكبر تعتبر جزء منه. وفيها يلي أهم خصائص النظام الأسرى:

١-اجتماعية الأسرة:

لقد ظهرت بعض أشكال النظم الأسرية منذ أن ظهر الإنسان على سطح الأرض.. ولأسباب متعددة تجمعت هذه الأسر وكونت جماعات ، ثم كونت هذه الجماعات قبائل ، ثم تكونت هذه القبائل في عنصرية ، ثم كونت هذه المجموعات العنصرية مجتمعات . ومن ثم: فإذا كانت الأسرة خالية يتكون منها البنيان الاجتماعي ، فلا نكاد نجد مجتمعا يخلو من النظام الأسرى . فالأسرة هي أساس الاستقرار في الحياة الاجتماعية ، ولذلك فإن المجتمع يرسم للأسرة الاتجاهات الخاصة بالزواج والعلاقات القرابية والدوار والواجبات المتبادلة بين أفراد الأسرة ويفرض عليهم الالتزام بحدودها ، ومن يخرج على ذلك يقابلة المجتمع بقوة وعنف ويفرض عليه عقوبات رادعة . ومن ناحية أخرى فانم الأسرة بوصفها نظام اجتماعي تؤثر فيما عداها من النظم الاجتماعية الأخرى وتتأثر بها: فإذا كان النظام الأسرى في مجتمع ما منحلا وفاسدا فإن هذا الفساد يتردد صداه في وضعة السياسي وإنتاجه الاقتصاد ومعاييره الأخلاقية ، وبالمثل إذا كان النظام الاقتصادي أو السياسي فاسدا فان هذا الفساد يؤثر في مستوى معيشة الأسرة وفى خلقها وفى تماسكها (سامية الخشاب : ١٩٩٣) .

٢- أهداف الأسرة ووظائفها :

تنشأ النظم الأسرية لأسباب عديدة: ومن بين هذه الأسباب البارزة لقيام الأسرة الحاجة للأمن ، والانتماء ، والحاجة للحب . والأسرة توفر وسيلة مقبولة اجتماعيا لإنجاب الأطفال . ويرى درو وآخرون . Drew, et al (١٩٧٥) أن الوالدين لديهما أسباب أخرى لإنجاب الأطفال : فالبعض ينظر للطفل كامتداد للذات أو النفس ، والبعض الآخر قد يكون لديهم أسباب دينية ، آخرون يشعرون أن الطفل يزودهم بالإحساس بالأمان ، وهناك طائفة تحب الأطفال لأن من الطبيعي عمل ذلك . وبعض الأفراد ينظرون لأطفالهم كوسيلة لتحقيق درجة من الخلود . ولسوء الحظ فإن حمل وميلاد بعض الأطفال قد يكون غير مقصود وبالتالي يكون الأطفال غير مرغوبين. ولقد قدم الباحثون توجهات متعددة لوظائف " الأسرة المفتوحة opened family قدم ماك جينس وفيننجان McGinnis & Finnegan (١٩٧٦) ستة أهداف أساسية لنظم الأسرة التقليدية هي :

أ- استمرار وبقاء الجنس البشرى من خلال إنجاب وتربية الأطفال

ب- مجتمعية الأطفال .

ج- تقديم مصدر للعلاقات البينشخصية المتعمقة .

د- تقديم جماعة مرجعية أساسية للانتماء وتحقيق الهوية الذاتية .

هـ- خلق واستمرار وحدة اقتصادية ووحدة عملية .

و- تقديم الرعاية للوالدين في مرحلة الهرم .

ولقد لاحظ فاندر Vander Zanden (١٩٨٠) اختلافا في أهداف الأسرة نتيجة للاختلاف في المجتمع الكبير . فلقد قدم قائمة تختلف إلى حد ما عن السابقة ، فأوضح أن المجتمع المعاصر قد اتخذ بعض الوظائف التى كانت تقدمها الأسر من قبل مثل: رعاية المسنين ، وتقديم الرعاية الاجتماعية للأطفال ، والوظيفة

الاقتصادية من خلال تنظيم عمل الطفل ....وما إلى ذلك. وقدم زاندن قائمة تحوى خمسة أهداف أساسية تقوم بها الأسرة هي :

- الإنجاب. – الاجتماعية.
- الاستمرارية. – الإقامة.
- إشباع الحاجات الذاتية.

* فمن خلال تقديم نسق اجتماعي للإنجاب يتم تلبية الاحتياجات الإضافية للأسرة والمجتمع. فالحاجة الاجتماعية للتكاثر والإنجاب التى كانت موجودة سابقا لم تعد ذات أهمية في المجتمع المعاصر ، حيث أصبحت عملية حمل الطفل وتربيته بمثابة مشروعات تستهلك الوقت القوى . ومن هنا: فان الكثير من الأطفال يختارون أن يكون لهم عدد محدود من الأطفال ، وبعضهم يختار عدم وجود الأطفال .

* وبالرغم أن اجتماعية الطفل قد تغيرت في القرن الحالي فإنها مازالت هدفا أساسيا للأسرة – ويرتبط الهدف منها واستمرارها في أداء دورها بالحماية والإعالة وتنشئة الأطفال منذ الميلاد وفي مرحلة الرشد ، ورعاية النساء في فترة الحمل وحضانة الأطفال.

• بالإضافة لذلك: فان هدف الأسرة من تفديم مركز ومكانة لأفرادها يرتبط بالإقامة المجتمعية وتنمية مفهوم الذات. فالأسرة تقدم الجماعة الاجتماعية التى يتحقق من الهوية الذاتية بالإضافة إلى المكانة الاجتماعية.

• أما عن إشباع الحاجات الذاتية: فإنها من أهم أهداف الأسرة في الوقت الحاضر ففي بعض الأسر تبدو جميع الأهداف الأخرى ثانوية عن تحقيق الاحتياجات الذاتية.. ولقد أشار ساتير Satir (١٩٩٤) إلى أن العلاقات الأسرية التى لا تشبع الاحتياجات الشخصية لجميع أفرادها من الممكن أن تؤدى إلى الإحباط واليأس والوهن والطلاق.

وقد أشار محمود حسن (١٩٨١) إلى أن أهم وظائف الأسرة ما يلى:

أ- إشباع الفرد: فالأسرة بصفة خاصة تميل إلى التعبير عن نمط الإشباعات الحميمة والدائمة للعلاقات الشخصية المتبادلة التى تتميز بالود والعمق والشمول في محيط الأسرة في مقابل الإشباعات الجزئية التى تحققها العلاقات خارج الأسرة.

ب- تحقيق إنجازات المجتمع: فالأسرة تقوم بالمحافظة على أعضاء المجتمع وإعدادهم للعمل الاجتماعي ، وهى التى تحافظ على السكان بإنجاب الأطفال وتربيتهم ، وتوفير الضمان في حالات الشيخوخة ، كما أن المجتمع ينوض الأسرة في تحمل مسئولية حماية الأطفال ومنعهم من اقتراف التصرفات الاجتماعية الضارة بالمجتمع ، بالإضافة إلى أن الأسرة تعتبر من أدوات الضبط الاجتماعي .

ج- الوظيفة الاقتصادية: فلا تزال العمليات الإنتاجية في الريف تتم في البيت وتقوم الأسرة بإنتاج عدد كبير من السلعة داخل الأسرة ، وتشرف على التوزيع والاستهلاك والتبادل الداخلي .. وفي المجتمع الصناعي تنشأ روابط وعلاقات اقتصادية خارجية لإشباع حاجات ونفقات الأسرة فتنتج عن ذلك خروج المرآة إلى ميدان العمل لتشارك في إعالة الأسرة ومساعدة زوجها في تحمل مسئوليات المعيشة، كما أنه نتيجة للحياة الحضرية يتغير نمط الاستهلاك وربما ينعكس ذلك على ظواهر الأسرة بالاستدانة أو استنفاذ مدخراتها أولا بأول.

د- تنظيم السلوك الجنسي والإنجاب: فالزواج ليس مجرد إشباع حاجات فسيولوجية لاستمرار الجنس البشرى فقط ولكنه عملية اجتماعية تخضع لقواعد وقيود ثقافية وتعليمات تحدد الحقوق والواجبات ، هذه القواعد تمل في جملتها تنظيمات اجتماعية تتحكم فيها العادات والتقاليد .

هـ- إعالة الأطفال وتربيتهم: فالأسرة تقوم بتنشئة الأطفال وتلقينهم قيم مجتمعهم وعادته وتقاليده بحيث تخلق في كل فرد كائنا اجتماعيا ، وهى المدرسة الاجتماعية الأولى للطفل والعامل الأول في صبغ سلوكه بالصبغة الاجتماعية

وإكساب الأساليب السلوكية الملائمة للمواقف الاجتماعية ، وتعتبر سلوكيات الأسرة وقيمها وطرق عملها إطارا مرجعيا لتقييم سلوك الطفل وسلوك الآخرين بما اكتسبه داخلها من قيم ومعايير .

و- الوظيفة النفسية: تمثل الوظيفة النفسية أساسا قويا وحاسما في ترابط النظام الأسرى . فعلى قدر وحدة المشاعر والميول والاتجاهات يكون التوافق والانسجام وتتحدد كفاءة الأداء الوظيفي بمختلف جوانبه. فالأسرة وحدة تقوم على الترابط ويشعر أفرادها بالانتماء والإنجاز والإشباع والحماية والإحساس بالأمان ، وتجعل روح التكافل والتعاون تسود بينهم ، بالإضافة لذلك فان هناك الروابط الخاصة بالعواطف والمشاعر الوجدانية والترابط السكنى الذى يجمع أفراد الأسرة ويوحد شتاتهم ، واليه يعودون ويجدون الراحة السكنية والدفء والحنان ويتبادلان أحداث اليوم وأمال الغد ، يتصرفون بتلقائية ويشبعون حاجتهم الأساسية التى لا يمكن إشباعها في أي موقع أخر (بشير الرشيدي ، إبراهيم الخليفي: ١٩٩٧) .

٣- تركيب الأسرة:

تختلف صور التركيب الأسري من مجتمع إلي آخر ، ومهما اختلفت صوره فان هذا التركيب يبدأ بالزواج وقيام علاقة رسمية واجتماعيه مشروعة بين الرجل والمرأة ، يرتبط بهذه العلاقة الرسمية والشرعية سلوكيات وتوقعات مرتبطة بالسيطرة أو الخضوع ، وتقسيم العمل ، والمسئوليات ، والطرق الجنسية ، والتعبيرية ، والسلوك الاجتماعي .

ومن ناحية أخري يرتبط بالزواج إنجاب الأبناء – الذين يمثلون العنصر الثاني في التركيب الأسري بعد الزواج ، ومن ثم: فان مستويات الدور المعياري لممارسات تربية الطفل وعلاقة الوالدين بالطفل ، وعلاقة الطفل بأخوته ، وعلاقة الوالدين ببعضهم البعض : كل ذلك يختلف تبعا لحجم الأسرة ، وترتيب الطفل الميلادي من إعادة تعريفات توقعات الدور وسلوكيات الدور المقبول في علاقة أفراد الأسرة ببعضهم البعض:

• **فمن ناحية حجم الأسرة:**

- في الأسرة صغيرة الحجم: تكون قدرة الوالدين على تكريس الوقت والانتباه الكافيين لكل صغير واضحة ، كما يكون هناك تحكم ديمقراطي في سلوك الصغار ، ويكون هناك إرادة وقدرة على إعطاء كل طفل نفس المزايا ، ويكون تعيين الأدوار بمعرفة الوالدين هو الشائع ، وتظهر ضغوط الوالدين من أجل التحقق الأكاديمي والرياضي والاجتماعي .

- وفى الأسر متوسطة الحجم: يكون هناك تحكم أقل ديمقراطية وأكثر استبدادية، وكثيرا ما يمنع الصغار من الصدقات الخارجية للحاجة إلى مساعدتهم بالبيت ، وتكون ضغوط الوالدين للتحصيل متمركزة عادة على الكبار ، وتوجد مشاحنات وأحقاد حادة بين الأشقاء ، وتكون قدرة الوالدين على تحديد المزايا والمراكز محدودة ، ويكثر مقارنة الوالدين لتحصيل الصغير بتحصيل أشقائه .

- أما في الأسرة كبيرة الحجم: فلا توجد خطة واضحة لتربية الأبناء ، مع وجود احتكاكات زوجية راجعة لوجوب التضحيات الشخصية والمالية ولا بد في الأسرة الكبيرة أن يقوم الوالدان بتعيين أدوار كل فرد من أجل الانسجام في الأسرة ، وغالبا ما يسود التحكم الاستبدادي لتجنب الارتباك أو الفوضى . وغالبا ما تستنكر صداقات الأطفال الخارجية لحاجة البيت لمساعدتهم أو لعدم وجود نفقات للأنشطة مع الرفاق ، إلى جانب كثرة المشاحنات والاحتكاكات بين الأشقاء التى لا يوقعها إلا تحكم الوالد إذا كانت شخصيته قوية ، مع عجز الوالدين عن إعطاء الصغار المزايا التى بنظرائهم الأكبر . (كمال دسوقي: ١٩٧٩).

* **ومن ناحية الترتيب الميلادي للطفل:**

- فان الطفل الأكبر في الأسرة يمثل التجربة الأولى للوالدين ويكون عادة محط أمالهما وتطلعاتهما ، وقد يدفعهما هذا إلى تدليله أو القسوة عليه أو إعطائه حقوقا لا يتمتع بها باقي أخوته التاليين له ، ويزيد من تعقد وضعه أنه لا يجد في الأسرة من يحذو حذوه في مواجهة مشكلات نموه وارتقائه ، ومن هنا : فانه يحاول جاهدا الاحتفاظ بعرشه ومكانته في محيط الأسرة . ولتحقيق هذا: فانه يبذل كل طاقته

النفسية من أجل التفوق والسيادة والنجاح في المجالات المختلفة لكي يبرهن لمن حوله على قوته وتفوقه وأنه جدير بالعرش حتى ولو انضم إلى الأسرة مولود جديد أو أكثر.

- وعكس ذلك: فمن الشائع أن يواجه أصغر الأخوة: ضغطا غير عادى من والديه وإخوته الذين يقاومون تطلعه إلى النضج والاستقلال ويصرون على أن يعاملوه كطفل... وهو وان كان يحظى بكثير من العطف والحماية فان الجميع يعتبرونه صغيرا مهما كبر ويلزمونه بطاعة أخوته الأكبر منه ، ولا يشركونه كثيرا في مسئوليات الأسرة لاعتمادهم على من هم أكبر منه وأقدر منه على تحمل هذه المسئوليات ، ومن هنا يشعر الطفل الصغير بالدنيوية وعدم القدرة على التفوق على إخوته لأنهم أكبر منه وأقوى ، وأنهم متقومون عليه (كمال مرسى: ١٩٧٩ ، عزت حجازي : ١٩٨٥ ، رشاد عبد العزيز : ١٩٩٠) .

وبالإضافة إلى الوالدين والطفل – فربما وجد في تركيب الأسرة بمقدار وجودهما في داخل الأسرة بمقدار وجودهما في داخل الأسرة بصورة مطلقة ومقدار الرعاية التى يتطلبها الأجداد ، وبمقدار تدخلهم في شئون الأسرة وعندما تصطدم أو تتعارض أنماط الاحترام الواجب للأبوين مع الرغبة في الابتعاد عنهما والتحرر من نفوذ هما . فقد يصبح الزوج (أو الزوجة) الذى يعيش معه ذويه في منزل واحد أو يعيشون بالقرب منه في حرج نتيجة الاتجاهات المتناقضة بين الرغبة في الاستقلال عنهما والالتزام بالحب الواجب نحوهم (محمود حسن: ١٩٨١).

ومع ذلك: توجد في المجتمع أشكالا أسرية أخرى مثل: أسرة الأطفال بالتبني ، والأسرة القائمة على أسر سابقة انتهت بالموت أو الطلاق ، والأسر التى تشتمل على أطفال وراشدين يعيشون في نمط علاقة اجتماعية (زوج الأم أو زوجة الأب – أبناء زوج الأم ، أو أبناء زوجة الأب ... وما إلى ذلك) ... وفي جميع الأحوال تمثل هذه الأشكال صورا من الحياة الأسرية ١٩٩٥(,Jackson) .

٤-قواعد الأسرة:

يقوم المجتمع بوضع القواعد التى تحكم العلاقات الأسرية ، وتكون هذه القواعد ذات قيمة ودلالة في تأثيرها على علاقات أفراد الأسرة ببعضهم البعض . ومن

هذه القواعد – ما يلي:

أ- اللامساس بالنسبة للمحارم (كحظر العلاقات الجنسية بين الأشقاء ، أو بين أحد الوالدين والخلف) .

ب- التنظيمات التداخلية والخارجية التى تحدد من الذى يصلح للزواج ومن أي الجماعات ينبغي اختيار شريك الحياة .

ج-القواعد التى تحدد المسئولية عن رعاية الأطفال وتعليمهم وتوعيتهم وتهذيبهم.

د- القواعد التى تحدد طقوس الطلاق التى بها أن ينحل عقد الزوجية والإجراءات الرسمية المطلوبة لانحلاله....إلخ (كمال الدسوقي: ١٩٧٦).

وعلى الرغم من أن القواعد الاجتماعية التى تحكم الأسر ليست مكثفة ولا خاصة فإنها توصل فكرة أن المجتمع يقدر بشكل كبير الحياة الأسرية .. ومما لا شك فيه فان هذه الرسالة تعتبر عامل دال على الطريقة التى يتم بها تركيب الأسر وكيفية قيامها بوظائفها .

٥- بقاء الأسرة ودوامها :

يقوم المجتمع من خلال القوانين بتنظيم الزواج ، والطلاق ، ورعاية الأطفال ، والميراث ، والحقوق والواجبات ...وهو بذلك يعبر عن تعهد ببقاء واستمرار الأسر كوحدات اجتماعية محمية... ويقوم المجتمع بتقييم الأسرة على أنها وحدة أساسية من خلال: التعليم والتربية والعادات والتقاليد والعرف والأمثال الشعبية والتعاليم الدينية التى تشير إلى دوام الحياة الأسرية وعدم الخروج على تقاليدها. كما يقوم المجتمع من خلال الشرع والأعراف بتقديم التكافل الاجتماعي للأسر الفقيرة كالذكاء والصداقات والإعانات وكفالة اليتيم... وغيرها. بالإضافة لذلك: فان العرف الاجتماعي يعلن عن فضائل الحياة الأسرية ومحو فكرة الحياة بمعزل عن الآخرين.. ومن خلال القوانين والوسائل الملحوظة والملموسة يقوم المجتمع بتحسين بقاء واستمرار النظم الأسرية... وهكذا فان الأسرة نظام يسعى إلى البقاء

والاستمرار وليس مجرد رابطة وقتية سرعان ما تنفصم.

هكذا يتضح بعد استعراض الخصائص الشائعة للنظم إلى انطباق هذه الخصائص على النظام الأسرى. وعلى الرغم من أن أثر القوى الاجتماعية في هيكله وتشكيل الأسرة يختلف من أسرة لأخرى إلا أن الخلقية الاجتماعية تزودنا بشاشة نتمكن من خلالها من ملاحظة النظام الأسرى بشكل نمطي نموذجي.

إن الأنماط المتداخلة للأسرة مع أشكال المجتمع الكبير توجه وتعمق رؤيتنا لنظام الأسرة ، وأن الأسرة تعتبر سببا ونتيجة لثقافة المجتمع ... ومن م : فإذا كنا نفهم الأسرة بشكل كامل كنظام فانه من الضروري أن نعى نظام المجتمع الكبير الذى تعد فيه الأسرة نظاما صغيرا ، ذلك أن كيفية تكوين الأسرة على ما هي عليه ينبع إلى حد ما من المحيط الاجتماعي الذى تتكون فيه هذه الأسرة ، مع أن كل أسرة تكون مميزة و مزودة برغم أن جميعها يشترك في عوامل شائعة بينهم

التوافق في النظام الأسرى

التوافق Adjustment حالة تتوفر فيها علاقة منسجمة بين الفرد والبيئة ، فيستطيع الفرد من خلالها إشباع حاجاته مع قبول ما تفرضه عليه البيئة من مطالب... ويعد التوافق في داخل الأسرة أحد مجالات التوافق الاجتماعي التى يعايشها الفرد في تعامله مع البيئة – إذ أن البيئة الأسرية هي العالم الفعال في تحقيق التوافق النفسي للفرد نظرا لطبيعة التعاملات والعلاقات داخل الأسرة التى تنعكس بدورها على التوافق النفسي للفرد خارج أسرته في المجتمع الذى يعيش فيه.

وسوف نعرض التوافق في النظام الأسرى من خلال منظورين:

- أولهما: التوافق الزواجى.
- ثانيهما: التوافق داخل النظام الأسرى المنبثق عن الزواج.

أولا : التوافق الزواجى

يقصد بالتوافق الزواجى الاتفاق النسبى بين الزوجين على الموضوعات الحيوية

المتعلقة بحياتهما المشتركة والمشاركة في أعمال وأنشطة مشتركة وتبادل العواطف (سناء الخولى: ١٩٨٢) ، مع قدرة كلا الزوجين على دوام حل الصراعات العديدة التى لو تركت لحطمت الزواج .. فالتوافق الزواجى: هو نتاج للتفاعل بين شخصيتي الزوجين والتوفيق في الاختيار المناسب للزواج والاستعداد للحياة الزوجية والدخول فيها ، والحب المتبادل بين الزوجين ، والإشباع الجنسي ،وتحمل مسئوليات الحياة الزوجية ...ويتوقف التوافق الزواجى على تصميم الزوجين على مواجهة كل المشاكل المادية والاجتماعية والصحية ، والعمل على تحقيق الانسجام والمحبة المتبادلة (حسن مصطفى ، رواية حسين : ١٩٩٣).

ومن أهم محددات التوافق الزواجى مايلى:

١- الخلفية الأسرية للقرين:

إذا كانت الأسرة تبدأ بالتزاوج بين شخصين يأتي كلا منهما من أسرة مختلفة ، فمما لاشك فيه أن خلفية كل منهما تؤثر بشكل كبير على تركيب وتنظيم وقواعد القرين التى يخلقها في أسرته الخاصة به ، وتكون لتأثيرات الخلفية الأسرية لكل شريك أثرها الواضح في التوافق مع الشريك الأخر ..

إن الأصل الأسرى يعد مصدرا أساسيا للتعلم الإجتماعى.. وتأثيرات الخلفية الأسرية من أصل ذات الأسرة التى تعلم منها كل شريك:

- سلوكيات الدور الأساسية وتوقعات الدور.

- يكتسب الفرد منها الاتجاهات والمعتقدات والسلوكيات التى يرتبط من خلالها بالآخرين ويرتبط مع الذات ويرتبط بها مع العالم.

- ومن خلال الأصل الأسرى: تكتسب البنات وتتعرف على ما تقوم به كامرأة وزوجة وأم وما تفكر فيه وما تشعر به. ويتعرف فيه الأولاد على ما يقومون به كرجال وأزواج وآباء وما يفكرون فيه وما يقولونه وما يشعرون به. كما يتعرف الأولاد على بعض أشكال الدور وأنماط العلاقة والسلوكيات.

- كما أن الأصل الأسرى: أو الخلفية الأسرية تعد مصدرا أساسيا لتعلم التعرف على الذات:

فعندما ينشأ الطفل في أحضان أسرته يكون إحساسا بالذات من خلال أنماط التفاعل والتواصل وسلوكيات الدور والتوقعات ، بالإضافة إلى النمذجة والتعلم بالمشاهدة والتمييز الإدراكى الذى يعايشه الطفل في الحياة اليومية . وهذا هو الذى يحقق الذات التى يقدمها كل شريك للآخر .

إن الأسرة هي تصنع النغمة الأولى لمفهوم الذات.. وإذا كان التوجيه الأسرى غير مرن ويتطلب اتساقا وتماسك أفراده فان مفهوم الذات يكون منغلقا ،وعلى العكس: فإذا كانت الأسرة مرنة ومساعدة للأفراد وتتميز بالانتماء وتشجع على النمو المتبادل فان مفهوم الذات يكون ديناميا منفتحا .

ومع ذلك: فان سمات كل زوج لا تكون مشتقة بشكل كامل من الأسرة إذ أن هناك العديد من الخبرات والعلاقات الاجتماعية التى تقوم بتعديل وهيكلة وإزالة بعض الاتجاهات والقيم والسلوكيات المشتقة من النماذج الأسرية . فقد تؤثر الخبرات المدرسية والعلاقات مع الإقران والكبار وخبرات المجتمع الكبير على كل فرد . ومن ثم : فان كل خبرة تحدث أثناء التفاعل مع المجتمع يكون لها أثر كبير على الخبرات المحيطة بالعلاقة الزوجية والتفاعل مع القرين .. إن كل شخص يكون له مفهوم ذات عن حقيقته وعن ماهيته كشخص ، وله مفهوم ذات عن شريكه في الحياة ، ويكون له مفهوم عن الزواج ، وله مجموعة معقدة من الاتجاهات والمعتقدات والقيم والاحتياجات والتوقعات والأهداف . (Bach,Deutch,1970)

٢- المهام النمائية للزواج :

أن تكوين وحدة أسرية جديدة من خلال الزواج تصنع مسئوليات ومتطلبات على الزوجين. فلقد أشار مينشين Minnchin (١٩٧٤) إلى هذه المطالب بمصطلح المهام النمائية التى ينبغي على الزوجين أدائها لتكوين أسرة جديدة . وعلى الرغم من أن طبيعة وعدد المهام سوف يختلف من ثقافة إلى أخرى ، كما يختلف في الثقافة

الواحدة تبعا لسمات الزوجين وأصولهما الأسرية فإن هناك مهاما شائعة تواجه كل زوجين يشرعان في خلق أسرة جديدة . من هذه المهام المرتبطة بالزواج – ما يلي:

أ- التواصل الزواجى ونمو أنماط الحديث والتفاعل بين كلا الطرفين.

ب- القيام بالأدوار والمسؤوليات الزوجية والأسرية على النحو الذى يتوقعه الطرف الأخر.

ج-المساندة المتبادلة وتهيئة الظروف الأسرية المناسبة لقيام كل طرف بمسئولياته.

د- المسا برة بين الطرفين وتقبل رأى الأخر والتعاطف معه بالقول والفعل وتقدير موقفه وظروفه.

هـ- نمو الإرادة الذاتية لكلا الطرفين لطاعة الأخر وحمايته والمحافظة عليه.

و- المواءمة: أي قدرة كلا الطرفين على التوفيق بين متطلباته الشخصية ومتطلبات العمل ومتطلبات الأسرة.

ز- التلاقي بين الطرفين ووحدة الهدف وأساليب التفكير والاهتمامات المشتركة لصالح الأسرة.

ح- التكامل: أي يكمل كلا الطرفين جوانب النقص فى الأخر بما يساعد على الأداء الوظيفي الجيد للأسرة.

ط- الاكتشاف والتعزيز: وأن توجد لدى الزوجين القدرة على معرفة المزايا والإيجابيات في بعضهما البعض وتعزيز هذه المزايا و الايجابيات.

ى- الإقناع والاقتناع في التفاعل الايجابي بين الطرفين (بشير الرشيدى ، إبراهيم الخليفى : ١٩٩٧).

٣- القواعد الأسرية وأنماط العلاقة:

إن الزوجين أثناء تكوينهما للمهام النمائية معا تنشأ بعض الأنماط التفاعلية ففي أثناء فترة تعلم الحياة مع بعضهما البعض تنشأ بعض الحساسية الذاتية – الأمر الذي قد يؤدى إلى التجنب والإحجام:

- قد تظهر عدم قدرة على مناقشة الموضوعات الحساسة خشية التصادم أو حدوث ردود فعل انفعالية غير مقبولة ، ومن ثم : تظل هناك بعض الموضوعات غير قابلة للمناقشة ، وبمرور الوقت من الممكن أن تزداد قائمة هذه الموضوعات ، ويظل كل فرد يضيف لهذه القائمة لدرجة أن الأخر يرغب في التجنب والإحجام ... ومع تطور الحالة يظهر ما يسمى بأسطورة الأسرة ، ومن ثم : فان الانفعالات غير الملائمة شيء سيء وينبغي تجنبها .

- وعلى العكس: فان الحالات الإيجابية هي الأخرى ممكنة في وضع القواعد بين الزوجين وتؤدى إلى إقامة علاقة حميمة مع شريك الحياة والاحتفاظ به. مثال لك: رغبة الفرد في أن يقاسم شريك الحياة وقته واهتمامه أو رغبته في أن يبقى بمفرده... وقد يكون الزوج مستعدا لأن تعتمد عليه الزوجة ، وإذا كانت الزوجة مستعدة لأن يعتمد عليها الزوج – أي الاعتماد المتبادل دون تزمر – فان ذلك يعتبر أحد مؤشرات القواعد الأسرية التى يبدأ الزوجان ترسيخها .

وبتتابع سنوات الزواج يصبح الزوجان والأبناء مترابطون وفقا للقواعد الأولية التى أرساها الزوجان في بداية حياتهما لخلق وحدة متكاملة.

ويعبر بعض علماء النفس عن القواعد الزوجية باصطلاح " العقد أو الاتفاق" ، وتكون هذه العقود والاتفاقات ذات فائدة لو أنها كانت صريحة ، ولكن المشكلة تنشأ عندما يسر أحد الزوجين أو كليهما في نفسه أشياء ويخفيها عن الأخر

- وإذا أبدى أحد الطرفين ما كان يخفيه اعتبره الأخر فاسخا للعقد أو الاتفاق. (Ford,Herrhck,1974)

٤- المسئولية وتقسيم العمل:

حتى يتم خلق جو صالح للحياة يجب على الزوجين عمل روتينيات وأنشطة مناسبة تقوم بتقسيم الأدوار العملية والمسئوليات بينهما. وعادة ما يصل الزوجان إلى هذه المهمة خلال المنظور الثقافي لأدوار كل منهما بالإضافة إلى خلفيته الأسرية.

- ولعل أدوار الأمومة والأبوة من الوظائف الاجتماعية التى يكرس الرجل والمرآة أنفسهما لها ، وعندما يقوم الزوجان بهذه الوظائف أو المسؤوليات فإنهما لا يفعلان ذلك لمصلحتهما فقط ولكن من أجل الأبناء ودوام الأسرة والمجتمع برمته .

وفي المرحلة الأولى من حياة الطفل تكون الأم هي الشخص الأول في حياته ويكون دور الأب ثانويا ، فهو والد احتياطي يقوم بحماية الأم ومساعدتها في رعاية الرضيع ، وفي غياب الأم قد يتحمل الأب كل مسؤوليات الأمومة ، ومن ناحية أخرى : فبينما تقوم الأم برعاية الطفل الرضيع فان الأب كذلك يقوم بتوفير الحماية للأم ، وكما تقوم الأم برعاية أطفالها الصغار فهي أيضا تقوم بدور فعال في رعاية الأب وتوفير متطلباته وإشباع رغباته . ويتعاون الأب والأم في النهاية لتربية الطفل وتنشئته ليشب عضوا نافعا للمجتمع. وعليه: فان وظائف الأمومة والأبوة يعتمد على بعضهما اعتمادا متبادلا ولا يمكن فصل أيهما عن الأخر إلا في حدود ضيقة.

- وقد ترغب المرآة في الزواج ومع ذلك لا ترغب في إنجاب الأطفال ، وقد تشعر المرآة برغبة قوية في إنجاب الأطفال ، وقد يرغب البعض في إنجاب عدد كبير، وقد يميل آخرون إلى إنجاب عدد محدود ، وهناك من الأمهات من ترغب في طفل يختلف عن الطفل المولود ، وبعض الأمهات يطلبن الطفل لا حبا فيه ولذاته ولكن لتحقيق دوافع أخرى مختلفة : لعدم اتهامها بالعقم أو لإرضاء زوجها أو لتوقيع عقوبة عليه ، أو لاستخدام الطفل كأداة للمساومة في الصراعات الزوجية أو للحيلولة دون انهيار الزواج ....إلخ.

- أما الأب فهو المسئول عن حياة الأسرة واستقرارها وتوفير العناصر الاقتصادية والمادية ، وهو القائد الموجه والمدبر لاحتياجات الأسرة ، وهو رمزها ومصدر قوتها الذى لا مرد لكلمته ، وهو مركز السلطة والشدة والشجاعة والحاكم والمطلق للأسرة .. وتقف الزوجة والأبناء موقف الإجلال والاحترام يخضعون لحكمته العليا ، ويمارس سلطانه في قوة وحزم ونشر العدالة بين أعضاء الأسرة

وحماية الزوجة والأبناء ورعاية شئونهم في الأمور خارج المنزل .

والأم دورها: إدارة وتنظيم أوجه الإنفاق وتربية الأطفال ورعاية شئونهم والقيام بأعباء المنزل ورعاية الزوج وطاعته.

– ومن المظاهر المألوفة في بعض الأسر ما نلاحظه من انعكاس الأدوار بين الجنسين: فتقوم المرآة بالسيطرة واتخاذ القرارات ويقف الأب موقف التابع والمستكين حتى يتجنب الجدال أو الشجار ، كما تقوم الأم بدفع الأب وحثه والقيام بكثير من الواجبات التى تعتبر من صميم واجباتها ، فيعيش الأب على هامش الأسرة ويصبح للأم المركز الأول والأهم ، بل يصبح الأب هو الرجل المنسي الذى يعيش في الظل ، ويتميز بالضعف والإحساس بالنقص ، ويظل دائم القلق والوساوس يهاب الهزيمة في صراع الأدوار . ولا شك أن مقدار ما يشعر به الزوج من تهديد أو قلق حول قدراته في القيام بأي دور من أدوار الرجولة سوف يؤثر بنفس الدرجة في وظيفته الأبوية ويؤدى إلى اضطرابها (محمود حسن: ١٩٨١).

إن مثل هذه التوجهات المرتبطة بالمسئوليات وتقسيم العمل من الممكن أن تعد مصدرا للصراع بين الزوجين إذا كان لكل منهما توقعات مختلفة عن ماهية أفضل سلوكيات للدور – فمثل هذا الاضطراب في تحديد مسئوليات الدور كثيرا ما يمثل مجالا للمشكلات الزوجية – تلك المشكلات التى لم تكن كذلك في السابق حيث كانت الأدوار تتسم بالتحديد والوضوح الشديد ، الأمر الذى يجعل الزوجين تحت طائلة ضغط نفسي ينعكس على العلاقات الزوجية وما يستتبعه من خصام ومشاجرات وخلافات . ومن الممكن حل الصراع وانقسام الرضا المتبادل للعمل والمسئولية بين الزوجين اللذين ينظران إلى المشكلة من اتجاه متفتح لحلها. (Cooper,1970) .

٥- المال:

إن الطريقة التى يصل بها الزوجان إلى الرضا المتبادل عن الإدارة المالية يرتبط بالتوافق الزواجى إلى حد كبير. ففي كثير من المجتمعات يعد المال مصدرا للصراع

الشديد في الزواج بسبب الانتباه إليه في انفصال عن العلاقات المتبادلة بين الزوجين، فالمال أكثر من وسيلة للتبادل الذى يحفظ البقاء ، انه يرمز إلى القوة والنجاح والتقدم والحرية الشخصية ، كما أن اكتساب المال معيارا للنمو الشخصي وتقدير الذات :

- ففي ثقافة الفقر: التى يفتقر أصحابها إلى الأمن الاقتصادي نتيجة المكسب غير المنتظم والعمل غير المستمر يعيش الزوجان عيشة الكفاف ويتسمان بالقدرية والعنف وانخفاض مستوى التعليم وضعف الإقبال على الرعاية الصحية وقلة المهارات. ففيها لا يتمكن الزوج من الحصول على أي شيء ، حتى ولو عمل مؤقت بأجر منخفض ، غالبا ما يمكث الرجل ساعات طويلة إما نائما أو بجانب الراديو يمضى يوما آخر . ومن ثم : ترتبط الزوجة بأمها وبيت أهلها ارتباطا وثيقا خوفا من ترك زوجها لها ، وتقوم المعيشة المنزلية على المساعدات المتبادلة خاصة أم الزوجة التى تقضى بمشكلاتها لأمها خاصة ما يتعلق منها بالناحية الاقتصادية مما يجعل الزوج يشعر بإهدار وتقليل الثقة الزوجية ، ومن ثم : لوترك الأسرة فان تحدث كارثة بتركه لها حيث أن الأم ترتبط بأطفالها ارتباطا شديدا وهى التى تساعد أطفالها .

- في حين يلاحظ أنه في ثقافة الرفاهية : ترتبط الزوجة بزوجها وبعمله أيضا ، فمكانة الزوجة وذاتيتها كثيرا ما تستمد من وظيفة الزوج (فهي زوجة طبيب أو وزير...إلخ) وبالتالي فإنها تفكر في نفسها كجزء من فريق عمل زوجها - وغالبا ما ينفصل الزوجان عن أسرتهما الأصلية ليعيشان حياتهما المستقلة ، ويظهر الطابع العاطفي على الزواج ، وتحاول الزوجة أن تحقق الإشباع العاطفي للزوج (سامية الخشاب : ١٩٩٣) .. ومع ذلك: فإن القيمة العملية للمال من الممكن أن تورط الزوجان في صراعات أكثر من المستوى الانفعالي وبطريقة تخرج عن وعيهما وإدراكهما.

وفى جميع الأحوال: فإن الزوج من الممكن أن يوازن بين كسب المزيد من المال لكونه المسئول عن الزواج والنجاح الاجتماعي ولكونه ذكرا له قيمة مناسبة ، أما

زوجته فقد ترتبط بالقيمة التبادلية العملية للمال .. وفى الزواج الذى يكون فيه الزوجان متقبلين لذاتهما ولذات بعضهما البعض من خلال التركيز على القيم الشخصية وليس القيم المادية فان المال لا يعد مصدرا للصراع . (Mc Ginns & Finnegan , 1976) .

٦- الأصدقاء والأنشطة الاجتماعية :

إن طريقة الزوجين في تحديد الأنشطة الاجتماعية التى سوف يعملان على تحقيقها مع بعضها البعض ، والأنشطة التى يحققها كل منهما بشكل منفصل قد تكون مصدرا للصراع . فكلا الزوجين كانت له صداقات شخصية قبل الزواج ، وقد يكون لهما أصدقاء مشتركون – ولكن : أي الأصدقاء من تستمر صداقتهم ويتقبله كلا طرفي الزواج ؟ إن ذلك يعتمد إلى حد ما على تفتح الزوجين ورغبتهما في المشاركة ، والأكثر أهمية هو الانفتاح على التواصل بين الزوجين ورغبتهما في تقبل الصداقات التى ما كانت لتحدث لهما بشكل فردى .

٧- أنماط التواصل بين الزوجين :

إن أنماط التفاعل والتواصل بين التى ناقشناها سابقا في القواعد الأسرية بين الزوجين قد تكون منفتحة أو منغلقة.

– ففي الأنماط المنفتحة: تجد أن تحقيق الحاجات المتبادلة للأسرة شيء مرغوب ومحبب ، من ثم فإن التواصل بين الزوجين بحرية ويتميز بأنه مباشر ويتسم بالانسجام والاحترام والأمانة والصدق والحساسية بمشاعر الطرف الآخر .

– أما في الأنماط المنغلقة: فيلاحظ أن أنماط التواصل والتفاعل بين الزوجين تحكمها مجموعة من القواعد الشديدة . تلك القواعد سواء كانت ظاهرة أو ضمنية فإنها تحدد ما الذى يمكن التعبير عنه بحرية وما الذى ليس من الضروري التعبير عنه على الإطلاق.

إن القواعد هي التى تحدد الظروف التى تحكم من يقوم بعملية التواصل ومع من وبأي طريقة يتم التواصل. فوفقا للقواعد الزواجية التى يضعها الزوجان في بداية حياتهما الزوجية المشتركة يتم تعريف المشاعر المقبولة وغير المقبولة ، ويتم فرض عقوبات على التعبيرات غير المقبولة ، ويتم تثبيت وتحديد معايير التفاعل والتواصل بين الزوجين ، بالإضافة إلى عقوبة انتهاك تلك المعايير .

إن الوعي بأنماط التواصل وقواعده يكون من الأهمية بمكان إذا كان من الضروري أن يتم التواصل بفاعلية بين الزوجين ، ومن ثم يتم التخطيط للتفاعل الفعال . ذلك أن نمو العلاقات الزوجية وأنماطها والتواصل الايجابي يرتبط ارتباطا وثيقا بالتوافق الزواجى : فإذا كان الزوجان قد أسسا نظاما منفتحا فهذا يعنى أن الأسرة ستكون متوجهة نحو النمو الفردي والجماعي وتدعيم العلاقات الايجابية المتبادلة ، أما الأسرة ذات التواجه المنغلق فإن ذلك سيؤدى إلى نظام أسرى قاسى يتميز بالدفاعية وبه خلل وظيفي .(Otto , 1990)

ثانيا : توافق النظام الأسرى المنبثق

إن مجيء طفل للزوجين له أثر بالغ على العلاقة الزوجية فالحمل والولادة تؤدى إلى إعادة ترتيب الجداول الزمنية ، وإعادة توزيع المصادر الانفعالية والاجتماعية والاقتصادية وإعادة تخطيط أنماط التفاعل الزوجية . فإذا كانت العلاقة الزوجية ثابتة تسمح بالتحدث وكان الزوجان يرغبان في وجود الطفل فإن التوافق الزواجى يكون أكثر قبولا ويصبح الطفل سببا للمتعة والفرح ، وعلى الجانب الآخر : فإن مجيء طفل إلى زواج غير مستقر فقد يكون مصدر ألم وشقاء لجميع أفراد الأسرة . وفيما يلي أهم ملامح التوافق في النظام الأسرى المنبثق:

١- ردود الفعل الوالدية :

إن الإعلان عن الحمل يكون له العديد من ردود الفعل عند الوالدين ، ويعتمد ذلك على العديد من العوامل منها مفهوم الذات عند الوالدين وجود العلاقة

بينهما كزوجين واجباتهما نحو الوالدية .

– فإذا كان الوالدان ينظران إلى أنفسهما نظرة واقعية ويتمتعان بتقدير الذات ، وكانت علاقتهما الزوجية متبادلة بشكل مرضى فان استجابتهما للحمل الجديد تكون أكثر إيجابية .. وحتى إذا كانت الظروف الاقتصادية والظروف الاجتماعية غير ميسرة فإنهما سيشعران بالرضا عن أنفسهما وعن زواجهما ، وينظران إلى الموقف بشكل إيجابي . والعكس عندما يكون هناك افتقاد لتقدير الذات بشكل واقعي ، مع وجود علاقة زوجية متبادلة بصورة غير مرضية فإن الوالدين لا ينظران إلى الموقف بطريقة محببة حتى لو كانت جميع الظروف جيدة .

– أما عن اتجاهات الوالدين نحو الو الدية: فإن هناك عوامل كثيرة تؤدى إلى تقبل الطفل أو رفضه بعد ولادته.. من ذلك:

أ- تقبل أو رفض فكرة الوالدية: فإذا شعر الوالدان بالصدمة عند ظهور علامات الحمل واحتمال وصول الطفل ، وشعرا بان ذلك سيؤدى إلى اضطراب خططهما ويفرض عليهما قيودا فإنهما لا شك يرفضان فكرة الو الدية خاصة إذا شعرا بأن الطفل سيكون التزاما دائما بينهما في عقد لم يجد تقبلا من قبل الشريكين.

ب- الاتجاه نحو الطفل كفرد: من ناحية تمثيل الطفل للنوع المرغوب فيه (ذكرا أو أنثى) ، ومن ناحية ما قد يحمله الطفل من سجايا في المستقبل .

ت- استجابة الوالدين نحو مسئوليتهما تجاه الأطفال: كالمسئوليات المالية ، وتربية الطفل ورعايته – خاصة بالنسبة للأم العاملة .

ث- استجابة الوالدين للتغيرات التى تحدث في حياة الأسرة نتيجة ميلاد الأطفال: فغالبا ما يتغير مركز الأسرة ويتبعه تعديل في العلاقات الاجتماعية بين الزوجين ويتحول جزء من ناتج الحب للشريك إلى الطفل.

ج- رغبة الوالدين أو عدم رغبتهما في تقبل فكرة المجتمع عن الأبوة والأمومة: كالشعور بالفخر والمركز الملائم المرتبط بالأبوة والأمومة.

وغالبا ما يتأثر الاتجاه نحو الطفل بخبرات الوالدين مع والديهما: فالوالدين غالبا ما يعاملان أطفا لهما بالطرقة التى كان يتبعها آباؤهم معهم ، وقد يتجه الوالدان نحو معاملة أطفا لهما بأسلوب يختلف عن الأسلوب الذى كان آباؤهم يعاملونهم به (محمود حسن : ١٩٨١) .

٢- التوقع والتكهن:

إن الحمل والولادة قد يقدمان فرصة للزوجين للمشاركة فى مستوى لم يعايشاه من قبل . إن فترة الحمل ثم الولادة من الممكن أن تكون فترة يقومان فيها بالتخطيط مع بعضهما البعض لمجيء شخص جديد ، وبالتالي فهي فرصة للاستكشاف بعمق لمشاعر هما واتجاهاتهما نحو تنشئة الأطفال ، واتجاهاتهما ومشاعر هما نحو ذاتهما كوالدين ، وأحلامهما للطفل. أنها من المكن أن تكون فترة تثبيت وتوسيع علاقتهما لتوقع خبراتهما الجديدة. ومن المكن أن يحدث الدعم والنمو المتبادل كلما تبادل التشجيع والدعم والرعاية من الطرف الآخر.

وعلى العكس فقد يسيطر على الوالدين الخوف على الحمل ، والخوف من مرحلة ما بعد الولادة : كالخوف من المسئوليات الو الدية . أو الخوف من فقدان عطف الزوج ، والمخاوف المتعلقة بالصحة والوضع الاقتصادي أو الظروف الاجتماعية – كلها عوامل من الممكن أن تخلق مناخا مخيفا من العلاقة ، وبدلا من زيادة المشاركة البين شخصية والقرب فقد ينخفض التواصل وينمو الشعور بالعزلة والتباعد .

لذا: فان الإفراط في التوقع أو التكهن بما سيحدث بعد ميلاد الطفل من الممكن أن يميز المناخ الانفعالي للزواج أثناء الحمل وفترة ما بعد ميلاد الطفل.

٣- الفرح أو الاكتئاب:

إن ميلاد الطفل قد ينتج عنه رد فعل والدي بالفرح والمرح والرضا.. إنه قد يعد إنجازا أو رمزا حيا للترابط الزواجى ، ومثل هذه الاستجابات مرتفعة الإيجابية .

أما الوالدان ذوى المشاعر السلبية عند ذوا تهما وعلاقتهما فإنهما يكونـان أكثـر شعورا بالخوف وعدم الملاءمة والاكتئاب.

٤- التحدي والتهديد :

إن الوالدين ذوى العلاقات الزوجية السليمة وتقدير الذات الواقعي ينظران إلى تنشئة الطفل إما كفرصة أو تحدى:

- فعنـدما يشـعران بالرضـا عـن ذاتهمـا وعـن كـل منهمـا نحـو الآخـر وعـن علاقاتهما: فإن مجيء طفل إلى الأسرة يعد فرصة لمشـاركة المسـئولية وعمـل شـيء لأنفسهما.

- أما الوالدان الأقل أمنا فإنهما يعايشان مسئوليات الو الدية على أنها شـيء مهدد لأنفسها وعلاقتهما الزوجية.. أنهما قد يخافان من إقحام الطفل الذى تتطلب رعايتـه الانتبـاه مـن القـرين إليـه ، إنهمـا يشـعران بالاسـتنكار والاسـتياء مـن الاحتياجات الملقاة على عاتقهما للطفل ، لأنهما يشعران بعدم الكفاءة علـى تلبيـة تلك المسئوليات ...

إن جميع ردود الفعل دلى العديد من الوالدين تعكس نغمة انفعالية واحـدة أثنـاء الحمل ، وبعد ذلك تنتقل إلى نغمة أخرى بعد مجيء الطفل . والوالدان ذوى تقـدير الذات الواقعي والعلاقات الزوجية ذات النموذج المنفـتح يكونـان أكثـر اسـتعدادا لمسايرة مجيء طفل في علاقاتهما الزوجية على عكس الوالدين اللذين تسود بينهمـا علاقات ذات نموذج منغلق .

٥- توافق الأسرة مع العضو الجديد :

لقد كان دخول طفل جديد في نظام الأسرة حدثا سعيدا. ومولـد الطفـل يعنـى نهاية انتظار طويل مدته تسعة أشهر كما يعنـى نهايـة القلـق. إن للأطفـال الرضـع والأطفال الصغار دلالة ايجابية في مجتمعنا لدرجة أن العديد من الأدبيـات تتغاضـى عن ذكر الجوانب السلبية للوالدية. كما أن وصول الطفل الأول يغير حيـاة الرجـل والمرآة بشكل أعمق من الزواج نفسه فيتحول مركز الأسرة نظرا لتركيز الانتباه الآن

على المولود الجديد وينظر إلى كل شيء بالنسبة للأطفال في الأسرة. لقد أصبحت الأسرة نظاما جديدا.

التغير في الوضع الاجتماعي:

إن قائمة التعقيدات ، والمتاعب ، والنفقات وتغيير أساليب الحياة قائمة لا تنتهي. وكثير من تلك الجوانب السلبية للوالدين لم تكن كلها تختفي تحت ظلال الفرح الشديد والسرور الذى يجلبه الطفل للوالدين الجديدين. ومصاعب تغيير حفاض الطفل وسهر الليالي بسبب بكاء الطفل تتلاشى مع أول ابتسامة ، أول خطوة وأول كلمة يتكلم بها الطفل . ومع تلك الإنجازات الأولى ، قد يبدأ الوالدان في رؤية ثمار أحلامهما وآمالهما – وهى أطفال أصحاء ، أذكياء . ذوى قدرة ويتمتعون بالجمال ، يفعلون كل الأشياء التى فعلها والداهما أو كانا يتمنيان فعلها.

إن مجيء طفل للأسرة يغير الوضع الاجتماعي لها بصورة واضحة ، فالعديد من الارتباطات التى كان يستمتع بها الوالدان تنخفض قيمتها بسبب متطلبات الطفل ومواعيد غذائه . وتنخفض عضويتهما في الجماعات الاجتماعية لأن هناك أصدقاء وأزواج لا يهتمان باحتياجات الطفل. وفى المجتمع الكبير قد يجد الزوجان مختلف التوقعات الخاصة بمجيء طفل لهم: فبعض هذه التوقعات تقدم فوائد وفرص لن تكون متاحة من قبل زيادة مسئولية الفرص المهنية ونظرة قادة المجتمع إليهم باحترام. إن التوقعات قد تزيد من الضغوط على الزوجين لتبنى أسلوب حياتي عام يتصارع مع الأسلوب الذى يفضلانه. وعموما فان الوضع الاجتماعي للزوجين يتغير ، ويجب عليهما التكيف مع وضعهما الجديد في المجتمع .

التغير في الوضع الاقتصادي:

وقد تصيب المشكلات المالية الوالدين الجدد أيضا. وقد يتعين على الزوج أو الزوجة – وغالبا ما تكون الزوجة – أن تتخلى عن عمل يسهم بمبلغ أساسي في دخل الأسرة لكي تظل في البيت مع الطفل. وفى البداية يمكن أن تتفاعل الأم بشكل إيجابي مع دورها الجديد ، لكي تجد فيما بعد أن الروتين اليومي مملا ،

ويصبح نقص مصاحبة الكبار والتفاعل مثيرا للعزلة والإحباط . وحتى لو كان بمقدورها أن تعود لعمل مأجور فيما بعد ، فان الدخل الصافي يظل قليلا بسبب نفقة رعاية الطفل ، والضغط المالي الناجم عن النفقات الإضافية لتربية الطفل التى يمكن أن تفرض على أحد الوالدين – وعادة ما يكون الأب – أن يشتغل في عمل ثان . وقد يسبب الضغط البدنى والعاطفي الناشئ عن العمل الإضافي إلى تقليل أو تخفيض الوقت الذى يقضيه أفراد الأسرة مع بعضهم البعض توترا إضافيا في علاقات الأسرة.

يختلف الوضع الاقتصادي للوالدين الجدد عن وضعه السابق لمجيء الطفل فيتم منحهما فوائد مالية ويصيران مسئولين ماديا. ومن ناحية أحرى فان نفقات المعيشة تزداد بشكل مفاجئ ولا تترك للزوجين إلا القليل من المال حتى الزوجين ذوى المصادر المادية فيجدان النفقات المتزايدة للأسرة تتطلب مراجعة السياسة الاقتصادية ولقد لاحظنا سابقا أن المال وإدارة المال من الممكن أن تكون سببا في صراع العلاقة الزوجية وعندما تظهر مثل هذه الصراعات يكون من الضروري التوافق الاقتصادي.

التغير في القواعد الأسرية :

وقد يكون الطفل الجديد في الأسرة أثرا ايجابيا وسلبيا على العلاقة الموجودة بالفعل بين الزوج والزوجة. فالطفل ممكن أن يزيد من تقارب الوالدين مع التزامهم بهدف مشترك. ومن ناحية أخرى ، فان وجود الطفل يمكن أن يؤدى إلى النزاع والصراع . ويمثل وصول الطفل الأول تغيرا جذريا في أسلوب حياة الزوجين. وقد وجد ساتير Satir (١٩٩٤) أن مسبة كبيرة من المتزوجين أشاروا إلى أنه حدث تدهور في الجوانب الايجابية للزوج بمرور الوقت. وكان التدهور أشد بين الزوجين اللذين لديهما أطفال. فبقدوم الطفل الجديد يمكن أن يطرأ تعديل أو تقييد على الأنشطة الترفيهية والأنشطة الاجتماعية. وقد يصبح السفر لمسافات طويلة أو لفترات ممتدة مقيدا لحرية الوالدين: بسبب النفقة ، أو عدم الملائمة ، وأحيانا بسبب

السلوك غير المتعاطف للطفل . وقد تصبح التسلية مشكلة بسبب نفقة جليسات الأطفال أو صعوبة الحصول على مثل تلك الخدمات.

إن القواعد التى يستخدمها الزوجان لتنظيم علاقتها يجب أن تتسع أو تتغير حتى تناسب مجيء العضو الجديد . إن التغير في العلاقات الزوجية يتبع بشكل حتمي التغير في القواعد الأسرية – تلك التغيرات قد تكون في اتجاه المشاركة والنمو إذا كانت الأنماط التفاعل والتواصل منفتحة.

التغير في أنماط العلاقة:

إن إعادة ترتيب الجداول الزمنية وإعادة تخطيط المشاركة الاقتصادية والاجتماعية والتغير في الأدوار الأسرية يؤدى بشكل واضح إلى التغير في أنماط العلاقة بين الوالدين. فبتغير الأنشطة والمسئوليات المنزلية مع مجيء يتم عمل ترتيبات جديدة لتلبية تلك الواجبات والمسئوليات ، فالوقت الذى كان يقضيه الزوجان معا لابد إن يشاركهم فيه الطفل ويتم عمل جدول جديد لوقت خاص .

وفي الفترة الخاصة بالتوافق يكون أمام الزوجين فرصة لتقوية وتوسيع علاقاتهم من خلال الدعم المتبادل للاحتياجات المرتبطة بشكل العلاقة الجديدة.

* * *

المراجع

١- بشير صالح الرشيدى ، إبراهيم محمد الخليفى (١٩٩٧): سيكولوجية الأسرة والوالدين ، الكويت : ذات السلاسل .

٢- جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافى (١٩٩٠) : معجم علم النفس والطب النفسي . القاهرة : دار النهضة العربية .

٣- حسن مصطفى عبد المعطى ، راوية محمود حسين (١٩٩٣) : التوافق الزواجى وعلاقته بتقدير الذات والقلق والاكتئاب. مجلة علم النفس ، العدد ٢٨ ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٤- رشاد عبد العزيز موى (١٩٩٠): دراسة لأثر بعض المحددات السلوكية على الدافعية للإنجاز. مجلة علم النفس ، العدد ١٥ ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٥- سامية مصطفى الخشاب (١٩٩٣): النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة. القاهرة: دار المعارف.

٦- سناء الخولى (١٩٨٢) الزواج والعلاقات الأسرية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

٧- عزت حجازي (١٩٨٥): الشباب العربي ومشكلاته. سلسلة عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٨- كمال إبراهيم مرسى (١٩٧٩): القلق وعلاقته بالشخصية في مرحلة المراهقة. دراسة تجريبية ، القاهرة : دار النهضة العربية .

٩- كمال محمد الدسوقي (١٩٦٧): الاجتماع ودراسة المجتمع. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

١٠-كمال محمد دسوقي (١٩٧٩): النمو النفسي للطفل والمراهق. بيروت: دار النهضة العربية.

١١-كمال محمد دسوقي (١٩٩٠): ذخيرة علوم النفس. القاهرة: مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع.

١٢- محمود حسن (١٩٨١) : الأسرة ومشكلاتها . القاهرة : دار النهضة العربية

13- Bach , G., and deutch, R.M (1970): Pairing, NewYork:Wyden Books.

14- Chinn,P.C.Winn,J.&Walters (1998):Tow-Way talking with parents of specil children : A process of positive communication Saint louis : The C.V.Mosby Co.

15- Cooper D.D.(1970): The death of the family . New York : Pantheon Books, Inc.

16- Ford,F.R., and Herrick , J. (1974) : Family rules : family life styles . American Journal of Oethopsychiatry.

17- Jackson , D. (1995) : The study of the family .Family Procsse .

18- Kelley , E.C. (1996) : The meaning of wholeness.ETC.,A Review of General Semantics.

19- McGinnis, T.C., and Finnegan.D.G.(1976): Open family and marriage :a guide to personal growth . St. Louis:The C.V.Mosby Co.

20- Minuchin,S.(1974):Familise and family therapy. Cambridge Mass. : Harvard Universtiy Press.

21- Otto, H.(1970) Has Monogamy failed? Saturday Review.

22- Riskin, J.(1963): Methodology for studying family interaction Archives of General Psychiatry..

23- Satir,V. (1964) : Conjoint family therapy . Palo Alto : Science Research Associates,Inc.

24- Satir,V. Peoplemaking , P.A. (1972) : Science Reseach Associates, Inc.

25- Vander Zanden, J. W.(1980): Sociology : a systematic approach. (2nd ed.) New York : The Ronald Press Co.